أســـــرار

من حياة الإمـام

ابن بــاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

محاضرة للشيخ/

محمد بن موسى الموسى -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

نهاية شهر رمضان لعام ١٤٣٢هـ-قبل وفاته بأيام-،

نسأل اللّه أن يجمعهما في فردوسه الأعلى.. آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد؛**

سماحة الشيخ الإمام المجدد المحدث الفقيه الفرضي النحوي ملأ الدنيا خيرًا، واشتهر اسمه وعمله ونفعه في مشارق الأرض ومغاربها.

فمن بداية حياته حتى نهايتها: لم يتوانَ يومًا ما عن العمل للمسلمين، - العمل المتعدي- فهو مكث في العمل الحكومي ثلاث وستين سنة، لم يأخذ إجازةً ولا يومًا واحدا، و لايوم خميس ولا الجمعة ولا العيد.

عمله في الليل أنا حسبته ست ساعات تقريبًا، فمجموع عمله في اليوم والليلة ثمانية عشر ساعة.

أما في وقت اجتياح الكويت فيقول لي هو -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لي فترة وأنا ما أنام إلا أربع ساعات في اليوم والليلة، يتابع الأحداث ويسمع ما يجري، على الإذاعات يتابع الراديو، ويسأل الناس، وتقرأ عليه التقارير، فهو كان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أوسع الناس معلومات عن هذه الأمور.

وبعض الناس يظن أن الشيخ أنه بعيدا عنها، وهو والله إنه من أقرب الناس، في العالم كله.

وترفع إليه التقارير ويعرف عن أحوال العلماء في أي بلدٍ من البلدان

يعرفهم، ويعرف أعمالهم؛ لأنه يتابعها بدقة.

الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الحديث عنه صعب جدًا، ما يدري الإنسان كيف يبدأ؟ ومن أين يبدأ؟ والله إني في بعض الأحيان أتوقف عن الكلام.

أول شيء: بضاعتي مزجاة.

الشيء الثاني: أن الشيخ بحر.

أنا عنده وأتابع وأراه، لكني ما أحيط بعمله.

الشيخ سجيته هكذا، هذا شيء -سبحان الله- يمشي مع أنفاسه، كل هذه الأعمال لا يتكلفها أبدًا، ولا يتداخل عليها العمل إطلاقًا، مع كثرة الناس، وكثرة الحاجات؛ إلا أنه منسجم مع كل شيء.

حتى في حال المرض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لا ينقطع عن العمل إطلاقًا، ففي المدينة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في عام (٨٣) صار عنده حصاة في المرارة، واجتمع الأطباء ورأوا أنه في الصباح يتجه إلى المستشفى؛ حتى يجروا له العملية، فلما أصبح صلى الاستخارة وانصرف عنهم وذهب إلى الجامعة، اتصلوا عليه، قال: لا، إن شاء الله ما يصير إلا الخير، الحمد لله ما صار إلا الخير واستمر.

عام (١٤٠٢) صار عنده ألم في القلب، ودعا طبيب من مستشفى الشميسي، الطبيب لما رأى حالة الشيخ، قال: والله يا شيخ هذه حالة ما تعالج هنا، أرجو أنك تحضر للمستشفى وتحت الأجهزة والمتخصصين، قال: لا، ـ الروحة للمستشفى ما هيب شهوة، اصرف اللي تراه، ولا يصير إلا الخير.

الملك فهد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لما علم أرسل للأمير سلمان -الله يحفظه-

ليحاول إنه يذهب إلى المستشفى. وكان الملك فهد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعيد نظر، فقال: أنا أعرف الشيخ، ورغبة الشيخ؟ قولوا له: فيه جناح في المستشفى التخصصي يفرغ له، والباب مفتوح، لا يغلق حتى يقول أغلقوه، و سيذهب معكم ويروح المستشفى.

وجاء الأمير سلمان -الله يحفظه- قال: يسلم عليك الملك فهد، ويقول: كذا..، قال: توكلنا على الله، ومشى للمستشفى وصار فيه جناح مفرغ للشيخ، ويقول: لما جاء الصباح، يريد ناس يقرؤون عليه ..معاملات وإلا كتب، يقول: طال الوقت عليّ، فبدأت أقرا قرآن، وأقرأ من ألفية بن مالك، وغيرها.

اتصلوا عليه من المكتب الساعة ثمان تقريبًا، وسألوا عن حاله، قال: أنا طيب، بس وينكم؟ جيبوا اللي عندكم؟ هاتوا اللي عندكم؟ وجاء عدد من الكتّاب كل واحد معه من كل شيء، من معاملات، وطلب مساعدات، طلاق، وبحوث، وردود، ومقالات من كل نوع، فاستأنس الشيخ.

زرته بعد المغرب، وإذا هو مصلٍ بالناس ومستقبلهم، والجهاز داخل جيبه ـ هنا ـ ، وجاء اللي يأخذ دقات القلب، فأحس به فأخرج الجهاز له واستمر يتكلم ما انقطع وما توقف أبدًا.

والكتب يبلغ ارتفاعها أكثر من متر عنده ليقرؤون عليه.

المهم إن الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لا يستسلم للمرض، ويقول هو: الاستسلام للمرض هذا هو المرض، الواحد كونه يستمر بالعمل يقول: أحسن، وأريح له؛ حتى ما يبدأ التفكير سبحان الله.

وفي عام (١٤١٤) سقط على رجله وتأثرت رجله جدًا، وصار ما يخرج

من البيت، لكن هل انقطع عن العمل؟ لا، يأتون للمكتب ثلاثة وأربعة كل واحد معه ما يخصه ويقرأ على الشيخ، وداخل بيته ما يجي حتى للمجلس ما يستطيع، وأنا داخل البيت فيتصل علي، وإيش عندك من المعاملات المهمة؟ أبدأ أقرأ عليه يزيد عليه الألم، يقول: بعدين بعدين ها الرِّجِل مُشكلتها مشكلة، فكلما نزلناها اتصل مرة ثانية، وهكذا..

الحكومة –الله يحفظهم– حرصوا على أنه يروح للمستشفى، والأطباء مقررين له عملية، والشيخ ما استسلم، قال نشوف نتأمل نستخير، فلما جاء الملك عبد الله يوم كان ولي عهد –الله يحفظه– وعنده مجموعة من الأطباء صالح القدهي وغيرهم.. وقالوا يا شيخ: بشر عنك، قال: طيب الحمد لله بخير.

قال: أنتم أيش رأيتم؟ وأيش قررتم؟ يقوله للأطباء، قالوا: والله نحن رأينا لابد من عملية، قال: كم نسبة نجاح العملية؟ قالوا: كذا، قال: كم يحتاج بقاء في المستشفى؟ قالوا:كذا، قال: وبعد ما يخرج من المستشفى كم يحتاج راحة؟ أخبروه، قال يا شيخ: أرى أنك تدخل اليوم وتجريها بكرة، [ياشيخ نحن مهتمين لك ولسنا مرتاحين].

قال الشيخ: ما يكون إلا خير إن شاء الله، جزاكم الله خير.

قال واحد منهم: يا سمو الأمير نحن في رمضان، والشيخ كأني به ما يرغب يسويها برمضان، لكن نعطيه مهدئات وبعد العيد إن شاء الله نحدد وقت، قال الشيخ نعم، نعم، وحددوا وقت أنه يوم (٦ من شوال) يروح للمستشفى ويسوي العملية.

راح يوم العملية يوم ستة وجاءوا يكشفون عليه، قالوا: ما يحتاج عملية، والحمد لله تلاشت فسوَى لها علاج طبيعي وانتهت، هو يتحامل عليها، ويحس بها، لكن الحمد لله.

في عام ستة عشر، ونحن في مكة، يوم السبت ما تغدى مع الناس دخل، ثم خرج لصلاة العصر، وبعد المغرب كذلك دخل، وما بيّن شيء، وحول أذان العشاء جاء المجلس، لكن ما ندري أيش الأسباب! بعد العشاء عنده اجتماع مع لجنة دار الحديث الشيخ محمد بن سبيل، والشيخ عبدالله بن منيع والدكتور صالح بن حميد، وغيرهم، جلس معهم عادي، قُدم العشاء الساعة تقريبًا عشر، ودعوهم للعشاء، قال تفضلوا أنا ما لي رغبة، ثم تعشوا، لما تعشوا جاءوا ثم ودعوا الشيخ، ومشى من عندنا الساعة عشر ونصف، في الصباح صلى في المسجد وجلس بعد صلاة الفجر للمعاملات عادي، ما كأن فيه شيء. أنا طلعت لغرفتي فوق ونزلت الساعة تسع، وإذا هو جالس، على غير العادة، فالعادة أنه يذهب إلى المكتب، استعجلت بإحضار المعاملات اغتنم الوقت لايزاحمني أحد في هذا الوقت، قال: والله أنا من أمس أحس بمغص شديد -الحمد لله-، والبارحة نومي شوي وسط، ما هنا نوم ، وأنا ما أكلت أمس ولا البارحة، تروح لمستشفى النور التخصصي يرسلون لي طبيب. ذهبت إليهم وإذا المدير خارج المستشفى -في حوش المستشفى- وأظن الدكتور محمد الشويعر متصل عليه، أخبرته فقال: نأتي بستة من الأطباء كل بتخصصه.

جاؤوا للشيخ وبدؤوا يفحصون، قالوا: والله يا شيخ نرى أنك تجيء عندنا بالمستشفى تحت الأجهزة والمتخصصين، كل وتخصصه، قال: لا بأس

ومشى معهم، نحن نتصل عليهم نسأل عنه، طيب.. طيب، أعطوه مسكنات، الساعة الثانية ذهبنا لزيارته، وإذا عنده عدد من المسؤولين، والأمراء الأمير نايف، والأمير سلمان، وغيرهم.. كلهم يتصلون عليه باستمرار –الله يحفظهم–.

المهم جيت وسلمت عليه، بشر يا شيخ، قال: طيب وأيش معك بس؟ قلت: معي إعلام الموقعين، أنا ما جبت معاملات، قال : ونعم ونعم، توكل على الله إقرأ .فقرأت عليه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

يقول من كان معه: يوم جاء أذان الظهر، قال: نروح المسجد نصلي معهم؛ حتى نلقي كلمة، فقال له: والله يا شيخ الطريق طويل ودرج وفيه شمس، قال: في سبيل الله، مساكين ما يجيهم أحد ثم ألقى كلمته.

ويتصل الأمير سلطان –الله يحفظه– ويقترح إنه يطلع لمستشفى الهدا، المهم الشيخ قال: الإخوان فيهم البركة ويكفون.

بعد العصر جاء الشيخ صالح اللحيدان، ومدير مستشفى الهدا عنده، وقال: يا شيخ المفروض إنك تطلع، الآن عملكم بمكة انتهى تقريبًا، قال: توكلنا على الله ومشى.

أنا والشيخ أحمد ابنه لحقنا به بعد العصر، يوم جينا عند مستشفى الهدا وإذا نحن نسمع صوته من سماعة المسجد يتكلم. راح ليصلي في المسجد وألقى كلمة.

في الجناح اللي هو فيه من أطباء وطبيبات وموظفين، هذا يدخل وهذا يطلع، اللي يعرض عليه حاجته واللي يسأل، حتى التليفون كأنه تليفون البيت

لا يفصل أبدًا.

الأمير سلطان –الله يحفظه– أرسل فريق من مستشفى القوات المسلحة من هنا، وفريقٍ آخر من مستشفى التخصصي، قالوا: ترجأ العملية حتى بكرة؛ لأنه عنده حصاة في المرارة لابد أن يعمل عملية، الساعة تسعة موعدها، فلما أنه جاءت الساعة التاسعة واتجه وجلس عندهم، فحصوه وقالوا ما تحتاج عملية والحمد لله، قال الشيخ: السلام عليكم، قالوا: يا شيخ الله يغفر لك فيه تحاليل نشوف نتائجها. أشار عليه بعض الأمراء إنك تتأنى، قال: نصبر حتى العصر، لما صلى العصر طلع والحمد لله.

مرضه الأخير يقول لي هو: في آخر شعبان (١٤١٩) يقول: أنا أحس بألم هنا لي فترة، قلت: الله يغفر لك أنت تعلم الناس، تحس بألم وساكت –الله يغفر لك–! توكل على الله، قال ما يصير إلا خير ما يصير إلا خير.

بدأ يراجع مستشفى الملك فيصل التخصصي، ومنذ دخل رمضان؛ حتى توفي ما أكل أكل يمضغ لا تمر، ولا خبز، ولا أرز، ولا شيء من هذا، عصير وفواكه نصف كأس أو أقل.

ومع هذا أتعب من معه، أتعب من معه، عمله هو عمله لم ينقص منه شيء، صار يحضر الدرس بعد الفجر، ويروح للمستشفى بعد نهاية الدرس يكوون المريء ويعود للبيت، ثم يتجه للمكتب، وهكذا.. فكان –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– ما انقطع ولا ضعف ولا ليلة واحدة.

رحنا بعد الحج لمكة واعتمر ثم طلعنا للطائف.. تدنت صحته –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–جئنا الطائف، قال: إن شاء الله يوم الإثنين يبدأ الدرس بعد الفجر،

قلت: الله يغفر لك الآن أقبلت الاختبارات، أنا أقولها من عندي والله، وبعض المدرسين وبعض الطلاب يتمنون إنك تأجل؛ حتى تنتهي الاختبارات، -أنا أريده أريح له-، قال : لا، نحن المستفيدين، اللي بيجي حياه الله واللي ما يجي بكيفه، فبدأ.

يوم الإثنين ما طلعنا إلا الساعة ثمان من المسجد. وهو آخر درس ألقاه، وآخر يوم داومه في العمل يوم الثلاثاء ما جاء من المكتب إلا الساعة ثلاثة إلا عشر، قلت يا شيخ: الآن الساعة ثلاثة إلا عشر، قال لي: إلى الله المشتكى، أربع جماعات من المطلقين نسمع منهم، وأنهينا معاملاتهم والحمد لله.

فلما دخل مستشفى الهدا، تعبان، المغذي هنا، والكتّاب أنا والدكتور الشويعر وغيرنا عدد، كلنا نقرأ عليه، والتليفون يشتغل، يتصلون عليه من المكتب، يقرؤون عليه المعاملات، والفتاوى، وعمله هو عمله، وجلسته هي جلسته، وتهجده هو تهجده، وورده على ما هو عليه.

فسبحان الله هذا الرجل عجيب تقول: هذه العناية من رب العالمين، وليلة الأربعاء قال: بطلع من المستشفى وما عندهم شيء، فخرجنا من المستشفى، تلك الليلة ما نام أبدًا، يحس بألمٍ شديد، يوم الأربعاء ارتاح سبحان الله، بعد الظهر نحن في المكتب طلع الشيخ أحمد، وقال: ترى الوالد جالس إذا تجون توسعون صدره لأنه يريد معاملات ويريد حركة، جئت والدكتور الشويعر والأخ عبدالرحمن بن عتيق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بدأنا نقرأ عليه، وأيش الأخبار؟ قرأ عليه الدكتور الشويعر أقوال الصحف، والنشرة الإخبارية.

بدأنا نقرأ عليه المعاملات؛ حتى الساعة ثلاث إلا ربع، قال: كم الساعة؟

قلنا: ثلاث إلا ربع، فقال: توكلوا على الله ، تغدوا مع الناس وإن شاء الله بعد المغرب أجيء، جاء بعد المغرب، الرجل سليم ما فيه شيء أبدًا، والمجلس فيه عدد مليان والناس يدخلون ويطلعون، فكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فكره هو فكره لم يتغير منه شيء، كأنه عمره ثلاثين سنة أو أربعين سنة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

بدأ ينصحهم، ويقول: الله يثبتنا وإياكم على دينه، الله يتوفانا وإياكم على الإسلام، هذا اليوم أول مرة أسمعها منه، قرأنا عليه تسع معاملات طلاق قبل العشاء، ومعاملة أخرى، ودخل بيته لأقاربه من عياله وبناته وغيرهم، اجتمعوا عنده داخل البيت، وجلس معهم حتى الساعة اثنا عشر، وهو طيب، يقول ابنه أحمد: سألنا كم الساعة؟ قلت: اثنا عشر، فقال تريحوا تريحوا أنتم، يقول: جلست أنا والوالدة حتى الساعة الواحدة والنصف، قال: كم الساعة؟ قلت: الواحدة والنصف، قال: ياولدي تريح، قام هو بنفسه وتوضأ وصلى تهجده، - الله أعلم- إنه أحس.

فيقول: بعد ما تهجد اضطجع وجلس، ولما جلس ابتسم، وعنده أم أحمد، فقالت: تريد شيء يا أبو عبد الله، وهو مضطجع وبدأ النزع.. لما طلعنا صلاة الفجر وإذا هو بسيارة الإسعاف تنقله ، قد توفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

ولا لحظة من حياته إلا بعمل.

الرجل نفع الله به الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، ألف داعية خارج المملكة -يعرفهم الدكتور سعد-، ما يوظف الواحد على أنه قال فلان وقال.. لا. لابد تزكية اثنين من المشايخ أن فلان تخرج من الجامعة الإسلامية وكذا، أو أنه صالح للدعوة، يوظفه الشيخ، في أفريقيا أو غيرها.

وداخل المملكة مائة واثنين وثمانين ألف شهريًا لمراكز الدعوة، بعضهم على نفقة بيت الشيخ.

وأما في مكة –منطقة مكة– حوالي ستمائة أسرة يصرف عليهم شهريًا، وبدل سكن، فالشقة بثمانية آلاف، أو سبعة آلاف، يدفعها هو.

وكانت المبالغ اللي تأتيه أنا ما أشوفها كثير، لكن ما شاء الله فيها البركة، منطقة الرياض يمكن أكثر من ستمائة، المدينة حوالي مائة أسرة على يد الشيخ عمر فلاته –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–

فكان –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– متنفس للمحتاجين وأهل الخير، وأهل الحاجات، إذا جئت المجلس وإذا هذا يطلب الشفاعة في الجنسية السعودية، وهذا في الإقامة، وهذا في محاضرة، وهذا في بناء مسجد، وهذا في قضاء دين، وهكذا... وكلهم يصرفهم، ولا يمكن يكتب مع أحد؛ حتى يتثبت بواسطة طلبة علم معروفين.

رأيت بعض الناس يتصور أن الشيخ نيته طيبة، ويحمل الناس على المحمل الطيب، وإذا شكوا إليه الحال إنه يحملهم عليه، والله ما يتنازل مع أحد حتى لو هو أقرب الناس إليه، حتى لو هو يعمل معه عشر سنين، أو عشرين سنة، وهو محل ثقة، لما يعرض عليه حاجته، يقول: ثبت بالبينة الشرعية، هذه ما يجامل فيها إطلاقًا.

لما يكتب خطابه: وعليكم السلام، بعده، نرى إثبات ما ذكرتم بالبينة الشرعية لدى بعض المشايخ المعروفين، وبعد ذلك أنظر في الأمر إن شاء الله..

البينة عند الشيخ ما هي؟ هي شهود عدول ثقات، يعدلهم قاضي، لو يكونون عشرة، أو عشرين، أو أكثر، وهو ما يعرفهم ما يعمل بهم إطلاقًا، لما يتبين من تثبيت القاضي بشهادة الشهود، إنهم شهدوا بمقدار الدين، وأسبابه والعجز عن التسديد، يكتب الشيخ للملك أو غيره، إذا جاء المبلغ ما أذكر أنه سلمه لشخص صاحب الدين ما يعطيه إياها، يحولها على القاضي يثبت الدين.

يقول: أشفع لفضيلتكم شيكًا بمبلغ كذا وكذا، وهو الدين المتعلق بذمة فلان، ويرفق صورة المعاملة الدائرة بين الشيخ وبينه، وأرجوا من فضيلتكم تشكيل لجنة أمينة تحت إشراف فضيلتكم، لتوزيع المبلغ بين غرماء فلان، ثم الإفادة بالنتيجة.

ويوزعون هذا خمسين ألف، هذا عشرين ألف، حتى تنتهي، والغالب أنه ما يبقى شيء، لكن لو بقي مبلغ عشرة آلاف، عشرين ألف، ثلاثين ألف، القاضي يخبر الشيخ أنه تم توزيعها وباقي كذا، الشيخ يقول: اسألوا عن حاله، إن كان ثبت لديكم أنه فقير أعطوها إياه، أما إذا لم يثبتوا أنه فقير فالشيخ يستأذن الذي تبرع بالمبلغ، يقول: تفضلتم بمبلغ كذا وكذا لقضاء دين فلان، وقد تم توزيعها وبقي كذا، إذا تسمحون أو تأذنون نوزعه بين خواص الفقراء.. فوجود الشيخ رحمة بالأغنياء ومن لديهم أموال، والله إنه ما ينفق ريال واحد إلا بناءً على بينة.

يعني مثلًا يجيء واحد من المدينة أو من مكة، ويجلس أمام الشيخ يشكو حاله: أنا يا شيخ عندي أسرة، وحالي كذا، ولا عندي دخل وعندي إيجار، وعندي كذا... الشيخ يقول: معك بينة؟ قال: لا، أنا والله إني صادق، قال:

توكل على الله، قم من على الكرسي، ما أحد يعطى بدعواه، يقول: أنا ما عندي شيء للطريق، رجعتي للمدينة أو مكة، فيلتفت على من بجواره أعطوه مائة ولا مائتين ولا ثلاث، هذه من أين؟ حسابه هو، يقول: إذا قلت مائة أو مائتين أو ثلاثة فهي من حسابي أنا، لا تأخذونها من الصدقة ولا من الزكاة، ما يمكن أبدًا.

فكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- آلاف الناس قضيت ديونهم، وآلاف المساجد، أنا قدرتها تقريبًا أكثر من خمسة آلاف مسجد داخل المملكة وخارجها.

الذين أعلنوا إسلامهم على يد الشيخ آلاف من رجال ونساء.

الرقاب التي أعتقت بواسطة الشيخ من موريتانيا حوالي عشرة آلاف رقبة.

الشيخ أعمالة ما تحصى إطلاقًا، طبعًا الناس كلهم يقولون: مثلًا الشيخ زاهد، والشيخ عالم، والشيخ ورِع، والشيخ كذا، لكن خصائص أعماله ما يعرفون عنها شيء، ما يمكن يركب السيارة إلا معه من يقرأ عليه، طال الطريق أو قصر، ولا يمكن يركب الطائرة إلا معه من يقرأ عليه ولا هو واحد إما اثنين أو ثلاثة.

فمن بيته هنا إلى الإفتاء المسافة قصيرة، لكن لازم نقرأ عليه، نحن نتغانم الوقت لإنهاء شيء، ولو جاء من الإفتاء وليس معه أحد، يقرأ قرآن حتى يصل للبيت، أو يشغل الراديو على إذاعة القرآن، يعني كل شيء في طاعة الله، في عبادة الله.

إذا مشى للطائف يريد السفر، وهو يسافر غالبًا يوم الخميس. يتهيأ،

وسبحان الله كأنه سيذهب لعمله في الإفتاء، يعني ما كان يهتم فيقفون له الناس هذا يسلم، وهذا يسأل، ويجاوبهم وهو ماشي، إذا ركب السيارة وقرأ الدعاء التفت على من بجواره: توكل على الله وأيش معك؟ هات اللي معك، ثم يبدأ ..حتى المطار.

المطار أحيانًا الطائرة تصير ما تهيأت أو بعض المرافقين ما وصلوا، نبدأ نقرأ عليه، أو الموظفين يجتمعون عليه ويسألونه، ثم نركب الطائرة وقبل أن تقلع: توكل على الله أيش معك؟ ثم إذا أقلعت الطائرة قبل أن تدخل كفرات الطائرة وترتفع نبدأ نقرأ عليه.

في الطائرة ورديات، هذا يقرأ ربع ساعة، وهذا ربع ساعة، حتى نصل مطار الطائف، فإذا جئنا لمطار الطائف تقريبًا الساعة ثنتين بعد الظهر يتوضأ، ويؤذن هو ويتقدم بنا ويصلي، ثم نتوجه إلى مكة، فإذا حاذى الميقات لبى وقال: توكل على الله، القراءة ما تنقطع حتى يدخل بيته.

إذا جئنا بيته وإذا عدد من الناس ينتظرون الشيخ عند الباب، هذا محتاج، وهذا يريد أكل، وهذا كذا، وهذا مطلق، وهم ينتظرون الشيخ، وقبل أن نمشي من الرياض وهم يكثرون الاتصال متى يجيء الشيخ؟

ما يروح يدخل بيته ويضطجع وينام، بل يدخل في المجلس ويفتح التليفون، يتصل على زوجته أم عبد الله، وأم أحمد، وأخوه محمد –الله يرحمه– وعياله وبناته، يخبرهم بوصوله. هذه الدقة عند الشيخ والله نحن لا شيء بالنسبة له.

ثم يتغدون، وهو مصلي للجمع، يتغدون ويروح يرتاح له شوي، وبعد

المغرب يواصل، وبعد العشاء ومن بكرة ما ينقطع إطلاقًا لا في حال الصحة ولا في حال المرض.

مرة دُعي إلى افتتاح مركز بجدة وقال له مدير المركز: يا شيخ الافتتاح ليلة كذا، ونرجوا إنكم تشرفونا، وقال: إن شاء الله لا بأس. ثم قال: لي رجاء، أنكم تتجهون بعد المغرب من مكة؛ حتى يصير الحفل يبدأ بعد العشاء، قال: لا بأس. الشيخ ماهو مثلنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول: اللي يجون من هنا وهناك مطلق، وغير مطلق، نجلس لهم، ولن ننصرف من مكة، حتى نصلي العشاء، ننظر في أحوال الناس، يوم صلينا المغرب رجع إلى المجلس، فعديت خلال الجلسة ستين سؤال، وستين جواب عليها خلال ساعة.

انظر النفع والفائدة، ويصلي العشاء، والإمام يقرأ بعض الأحاديث ويتكلم عليها الشيخ، ويجاوب عن بعض الأسئلة، ونركب السيارة لجدة مع الدكتور الشويعر والأخ صلاح، لما ركب وقرأ الدعاء، التفت: توكل على الله وأيش معكم؟ ونبدأ نقرأ عليه، كل ما انتهى أحدنا بدأ آخر؛ حتى وصلنا المركز.

أطلعه مدير المركز عليه، ثم ذهبنا للقاعة، القاعة فيها آلاف، الشارع مليان، وإذا هو مثل جمرة العقبة وقت الحج، الشيخ معه شرطة ومشايخ وكذا.

المقصود بعد العشاء، ركبنا إلى مكة، ومن حين نركب توكل على الله وأيش معكم؟ هاتوا اللي معكم؟ أي شيء، ما ينتقد اللي معك.

وصلنا مكة الساعة ثنتين ليلًا، ثم قام للتهجد في آخر الليل، أنا تعبان، وأنا

إيش سويت؟ اضطجعت وقلت: لعل يحصل لي لو ساعتين، جاءت الساعة ثلاث ويطرق علي الباب، هو يمكن نام ساعة، المهم صلى بنا الفجر، ولما صلى استقبل الناس وألقى كلمة عن معاني الآيات التي تلى، ويجي للبيت ويجلس ونقرأ عليه معاملات على العادة وجلسنا إلى سبع وثلث، ثم قال: ضعوا المنبه على الساعة ثمان وثلث ليذهب للرابطة، فهذه ساعة وهكذا...

ولا يرجع إلا الساعة ثنتين -ظهرا- وإذا جاء فإذا عنده مئات الناس، ومع هذا، هذا الذي يريحه ويؤنسه، وبعد العصر الحفل الختامي يرجع للرابطة، فسبحان الله على هذه القوة، في مواسم العبادة مثل الحج وفي رمضان يعطى قوة، سبحان الله شيء عجيب.

الشيخ بابه مفتوح، في بدروم تحت فيه غرفة يسكنها ثلاثين تقريبًا من المساكين في البدروم عنده أحيانًا ثلاثين، ليل نهار، أحيانًا يأخذون شهر وأحيانًا شهرين، ما أحد يستطيع يقول لهم شيء، يسكنون، حتى تقضى حاجته، والشيخ يقول: شوفوا الاخوان يتغدون ويتعشون، ولا يمكن يتركهم ولا يغفل عنهم.

في مكة ما فيه سكن داخل، لكن يأتون إليه عمال، وغيرهم، وهناك فيه دار الحديث عندهم سكن وهو اللي يؤويهم، وهو اللي يغذيهم، فكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مأوى للمحتاج. جاء مرةً أحد الدعاة وجلس يمكن عندنا شهرين، ونام في البيت، ويحضر عندنا، قلت للشيخ: فلان هل عنده شيء؟ له فترة وهو موجود، قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: لو استغنى عنكم ما جلس عندكم.

الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- خلقه وكرمه يمشي مع أنفاسه، ما يتكلفه أبدًا، حتى ولو

جاء إليه ناس وقالوا فلان فيه ما فيه، قال: أتركوه، ما عليكم منه.

فسبحان الله، الناس يأنسون بوجود الشيخ بينهم، يقول لي أحدهم-وهو أمير في بلاده- : أنا ثبت الإيمان في قلبي لما رأيت الشيخ، ونحن في مكة، يقول: لما رفع اللقمة فيها لحمة أخذها أحد الأفارقة منه، يقول: والشيخ لم يهتم لذلك أبدا.

فما الذي يدل عليه؟ يدل على تواضع الشيخ، يقول: سبحان الله هذا مما ثبت الإيمان في قلبي، فالشيخ يستطيع أن يبتعد عنهم ومع هذا هم يحفون به ويضايقونه وهو يأنس بهذا.

وقت الحج والله إنها آلاف الفتاوى التي تعرض عليه، يجلس بعد الفجر، والضحى، وبعد الظهر، وبعد العصر، وبعد المغرب.

لما ذهب لمستشفى التخصصي يجري بعض الفحوصات، والشيخ كان لديه التهاب في حلقه، فقال ولده عبد الرحمن : نحن مستحين من الوالد، لعلكم تقولون له، يقلل من الحديث ويكثر من الراحة، والأكل يصير في الوقت المناسب.

جاء بعد الفجر وقال سماحة الوالد: الأطباء مستحين منكم، يقولون لي كذا وكذا، والشيخ: مطأطئ رأسه، لما انتهى قال: ما يكون إلا خير، ومشى على ما هو عليه، ولا تغير شيء، ولا ضره، الحمد لله، دخل التسعين، أعطاه الله عُمر ونفع الله به الأمة والحمد لله.

فالفقراء الذين كان يغذيهم مساكين، والله العظيم إنك تعطف على حالهم، بعضهم ضريح الفراش.

فالدولة –حفظها الله– أعطتهم إقامات نظامية من قبل ثلاثين سنة، ومن قبل خمس وثلاثين سنة، لكن كيف يتغذى؟ عنده أسرة، عنده إيجار، مريض يعالج، يرددون قولهم مات والدنا، الله يرحم الوالد، كلهم يبكون، بعضهم والله إذا تكلمت معه ينطلق بالبكاء، أحدهم جاء لبيت الشيخ قبل أربع سنوات، تكلمت عن الشيخ كذا، انطلق بالبكاء واتجه وقطع الشارع لا شعورياً، حتى وصل عند مسجد الأميرة سارة هناك، سألته عن تصرفه قال: ما أدري عن نفسي، أنا ما أدري عن نفسي لاتلمني.

أحدهم الدعاة من الحبشة جاء بعد وفاة الشيخ، لما دخل عليّ بكى، قلت: يا فلان الحمد لله على قضاء الله وقدره، والشيخ مات بيومه الموعود، ونحن إن شاء الله ندعو له، وهذا الذي بقي الدعاء، قال: شوف أنا مؤمن، وأنا أعرف إن الشيخ مات بأجله، لكن شيء لا إرادي، أنا درست في الجامعة الإسلامية تحت مظلة والد مربي عطوف، نحس إنه أشفق من الوالد، إذا جلسنا يسأل عن حالنا، وحال أهلينا، وبلدنا، من اللي يسألنا مثل الشيخ؟

لما تخرجت عينني داعية هناك، ثم مرضت وشفع لي الشيخ في مستشفى التخصصي لأراجع، وفترة وجودي هنا شهر أو شهرين أجلس عند الشيخ، يقول: إذا جئت للرياض أدخل ولا ألتفت لأحد، كأني داخل بيتي، ولما جاء الخبر –خبر وفاة الشيخ– كأنه صاعقة، يقول: ذُهلت، إن شاء الله ليس هو الشيخ، إن شاء الله ليس هو الشيخ، يقول: بدأت أسمع أصوات الناس من جيرانا من هنا ومن هناك يصيحون، ارتفعت الأصوات في الحبشة، يقول: هؤلاء ما وصلهم من الشيخ شيء، يقولون: خلاص الإسلام راح دُفن، يعني إحساس، جينا نصلي الظهر وإذا بالبكاء والنحيب في المسجد.

أنا أعرف إن الشيخ مات بأجله مثل غيره، أخذت ستة أشهر بعد هذا وأنا تعبان، لما جاني خبر وفاة الشيخ ما استطعت، فكان الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- متنفس لأهل الحاجات، كل من له حاجة.

لما حُكم على عشرة من الدعاة في الصومال، حكم عليهم سيادبري بالقتل بالإعدام، جاؤوا للشيخ -الله يرحمه- وقالوا: يا شيخ ما لهم إلا الله ثم أنت تشفع لهم.. وكنا في بيته واتصل على الملك عبد الله -الله يحفظه ويجزاه الجنة- الساعة إحدى عشر ليلا وطلب منه الشفاعة، وعلى طول اتصل جعلها الله في ميزان حسناته، وقال: إذًا يلغى الإعدام ويبقون سجناء، لما مضى سنة تقريبًا ونحن في آخر رمضان في مكة، جاؤوا للشيخ، وقالوا يا شيخ المساكين ضاعت بيوتهم وأحوالهم ساءت وكذا، لعلكم تعيدون الشفاعة لعلهم يخرجون، على طول اتصل بالأمير عبد الله يوم كان أمير -الله يحفظه- واتصل بنفس الساعة، الملك عبد الله اتصل على سيادبري، وطلب منه وأمر بإخراجهم وتعيّدوا مع أهليهم.

بورقيبه حكم على أعظم منهم بالآلاف، بالإعدام، وجاءوا للشيخ وهو بالطائف، وقالوا: والله ما رأينا غير سماحتكم، قام واتصل على الملك فهد، والملك فهد كان عنده ضيف واتصل بالأمير عبد الله، وطلب منه الشفاعة، فاتصل على بورقيبة تلك اللحظة، وعرض عليه -الله يرفع درجاته ويوفقه- ونفس الشيء قال يلغى الإعدام، يبقون سجناء، بعد هذا بعشرة أيام تقريبًا زال حكمه وجاء زين العابدين وخرجوا كلهم. وقرأت بعض الصحف ذكرت أن من خرجوا من السجن أربعة آلاف وستمائة.

فشفاعاته عظيمة، والحكومة الله يوفقهم يقدرونه ويشفع بأمور كثيرة،

قضاء ديون، وشفاعة مسجونين وغيرهم.. وله مكانته عندهم الله يوفقهم ويزيدهم من الخير.

الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ما أعجب زهده في الدنيا، الملك فيصل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مرّ على المدينة، ويقول: الشيخ إبراهيم الحصين كان مرافقًا له، يقول: قال قربوا السيارة نبي نروح نسلم على الملك، قال: السيارة في الورشة، قال: خذوا تاكسي، فأخذوا تاكسي واتجهوا للملك فيصل، ولما خرجوا من عند الملك فيصل أخبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن الشيخ عبد العزيز بن باز جاء على تاكسي أجرة، تكدر الله يقدس روحه، يقول الشيخ إبراهيم الحصين، يقول: جاء بعد الفجر اثنين كل واحد معه سيارة، وكتب له الملك فيصل قدس الله روحه، علمنا أنكم أتيتم على أجرة، وتكدرنا كثيرًا، وإليكم السيارة الفلانية. ـ سألت ابنه عبدالله عن السيارة قال نوع شفر ـ فبارك الله لكم فيها .

قال الشيخ -الله يرحمه- ما يحتاج، ما يحتاج سيارتنا تصلح وتكفينا، يقول: قلت له يا شيخ لو يعطونك عشر سيارات وش بتستخدمها فيه؟ أنت نفع الله على يدك واللي أعطاك إياها الملك لا تردها، أنصحك ما تردها، قال: دعني أستخير، ثم قام صلى الاستخارة، وقال الله يهديه وأخذها، وأمر الملك فيصل بشراء سكن في المدينة، وعند الإفراغ قال أفرغوه باسم رئيس ومدير الجامعة، يعني أنا انتقل وتصير باسم اللي بعدي.

لما اشترى الشيخ بيت له على شارع العطائف، بيت طين عام (١٣٧٤هـ) اشتراه أقساط من شخص أظن يقال له ابن غنيم، كل شهر يأخذ قسط، ثم تأخر ما جاء يأخذ القسط، وقال الشيخ: وينك ما جيت تأخذ القسط؟ قال: أنا رحت لطويل العمر وقضى الدين وأوفاه، والمبلغ أعطاني إياه، قال: عجيب،

وأنا ما أعرف أتكلم معه؟! تتكلم لي؟ ، خلاص نحن على ما اتفقنا أو خذ بيتك.

الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عجيب.

أرسل له واحد من المسؤولين -الله يضاعف له الأجر- صندوق فيه خمسة ملايين، وقال هذه يسلم عليكم فلان ويقول: هذه لسماحتكم يستعين بها على أموره.

والشيخ عليه طلب بلا شك، فسكت الشيخ، قلت في نفسي: غريب أن الشيخ يسكت، والله ما قلت شيء، وقال: جزاه الله خير. يوم جاء بكرة وراح المكتب اتصل، وقال: اتصل على فلان يجي يأخذ اللي عطانا ضيقت صدري خلنا نفتك منها.

اتصل عليه ويجي، قال الشيخ: أنا استحيت منك تلك الساعة، والآن خذها الله مغنيني والحمد لله بخير، إلا إذا يوافق إننا نوزعها بين خواص الفقراء، عندنا فقراء كثيرين، فقال: لا بأس يوزعها.

فكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ما له نظر في الدنيا، مرة سأل، يقول: كم رصيدنا؟ على غير العادة، من أجل أني أزكيه بس، وما فيه شيء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

السبيعي -الله يحفظه- ما يرد طلب للشيخ إطلاقًا، فأرسل للشيخ كشف حساب مرة، مطلوب الشيخ ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف، قال: أنا أخبركم وإلا أنا لن أتوقف.

هذه المبالغ لتكميل المساجد، مسجد يحتاج تكميل مائة ألف، وخمسين ألف، والشيخ يأمر بصرفها وتصرف.

أنا والشيخ إبراهيم الحصين –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– وابن عتيق –الله يرحمه– قلنا الله يعينك على الوفاء يا شيخ، لا عاد تصرف شيء، توقف، ابتسم هو، وقال الأمر سهل، ييسر الله ، ثم كتب للملك فهد –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– وقال: إن هذه المبالغ كلها صرفت تكميل مساجد، فأمر بها الملك فهد –رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فكان –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– يقضي الديون بالآلاف، والله إني أعرف ناس الآن، إذا دخل بيته وهو مشتريه الشيخ له عن طريق الملك فهد أو غيره، يقول: كل ما دخلت البيت رفعت يدي ودعيت للملك فهد، ودعيت للشيخ ابن باز، اللي قُضيت ديونهم، بعضهم يقول: آخر الليل إني أدعو للملك فهد وأدعو للشيخ.

ليلةً من الليالي: أرسل الأمير عبد العزيز –الله يحفظه– شيك يشتمل على عشرين مليون، يشتمل على مائة معاملة، مسجد، وقضاء دين، وشراء بيت، أنا أعرف بعضهم مساكين، لو أحصلهم الآن أبشرهم وإلا هم ما تسلم بأيديهم تسلم بواسطة محكمة، وفيه واحد عليه دين سبع مئة وستة آلاف، ضائقة ما يعلمها إلا الله، فاتصلت عليه، وأهله قالوا إنه نائم، قلت لا بأس، يقوم. أخبرته، ويقول: ذاك اليوم ومن بكرة ما أحس إني على الأرض من لا شعور.

واحد من حايل عليه مائتين وخمسين ألف، وقف قدامي وبكى، رجل ملتحي وانطلق بالبكاء، عندي ابن عتيق وغيره، مع أذان الظهر، بعد شوي قال يا جماعة لا تنتقدوني، لا تلومني، أنا مضيوم، أنا عليّ دين مائتين وخمسين ألف، وأنا مثبت ديني بالمحكمة، القاضي فلان وفلان، والشيخ كتب لفلان ولا أعطاني شيء، والحين أنا طالع بكفالة، صاحب البيت يقول أطلعوا من البيت ولا أعطني إيجاره، وأنا الآن ما أدري كيف أروح؟

وشوفوا جسمي شلون من الهموم؟ قلت: والله عسى الله ييسر لك، انتظر حتى يجي الشيخ الساعة ثنتين ونصف، فلما جاء همست في أذن الشيخ، قلت هذا عليه دين كذا وكذا، وكاتب معه القاضي الفلاني، والشيخ سليمان العامر رئيس هيئة حايل، قال: اكتبوا للأمير عبد العزيز بن فهد، وكتبنا للأمير عبد العزيز بن فهد من ضمن اللي جانا هذي، يوم جاء بكرة ويتصل علي، قال: بشر ما جانا (شين)، قلت أبشر (بشين وسين)، كل المبلغ جاء، قال: بشر وأيش اللي جاء؟ قلت: أليس الدين مائتين وخمسين، قال: بلى، قلت: أبشرك جاك كامل.

والله يا جماعة، الله يرحم حالنا وحاله سقطت منه السماعة وذهل ما يدري كيف؟ ثم أعاد الاتصال، قال: ترى ما أدري إيش قلت؟ فأخبرته: أبد هذا اللي قلت والمبلغ بيجي من عند القاضي..

فيه واحد من الأفلاج عليه مائة وستين ألف، ويتصل، قلت: أبشرك والله العظيم نفس الشيء، تطيح السماعة من يده –مساكين–.

واحد من الشرقية نفس البيان هذا، عليه أربعمائة وخمسين ألف، واتصلت عليه، عندي رقم وما رد وصار فاكس وحولت له كلمتين وإذا هو يتصل علي، قلت: أبشرك المبلغ جاء، وسيصلك بواسطة المحكمة، ويوزع بين الغرماء، فقال: اللهم لك الحمد، موعدي مع الحقوق الساعة ثمانية.

فكان –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– أدخل السرور على ناس، أدخل السرور عليهم، هموم شالها عنهم، لا يعلمها إلا الله، ودعوته تجلجل، والله واحد مصري هنا في صيدلية ملتحي مريت عليه قبل شهرين أو ثلاثة، ورأيت مكتوب تحذير من

التدخين -أعزكم الله-، فقلت: التدخين كذا، والعقلاء يعرفون مضاره وكذا.

قال: أنا سمعت كلمة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن التدخين، اللي يسمعها ويدخن ما عنده عقل، قلت: أنت تتابع برنامج الشيخ؟ قال: إذا سمعت وقفت حتى ينتهي، تدري أن عندنا بمصر دعوة الشيخ تجوب مصر، تجوب والله الأرياف يلتمسون فتاوى الشيخ ويقرؤونها، وفيه جمعيات وفيه مراكز باسم الشيخ الآن، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

نسأل الله أن يجازيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يُعوض المسلمين العوض المبارك، الشيخ ابن باز فلتة ولا يتكرر مثله أبدًا، مثل ما يقول الشيخ محمد الراوي، الشيخ يقول: هذا حته من السلف، والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول: هذا من الرعيل الأول بس مثلنا من ملابسنا، ملابسه مثل ملابسنا، وإلا هو ماهو منا؟ من الرعيل الأول، جزاكم الله خير...